المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القُرْآن الكَرِيم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

أثر تعظيم الله تعالى على واقع الأمة الإسلامية
دراسة تطبيقية في هدايات سورة الأنعام

اسم الباحث

أ/ محمد أزهر إبراهيم النداوي

د. محمّد أزهر إبراهيم النِّداوي

أثر تعظيم الله تعالى على واقع الأمة الإسلامية

دراسة تطبيقية في هدايات سورة الأنعام

ملخص البحث

الفكرة الرئيسة للبحث: هو المساهمة في دراسة تظهر تعظيم الله تعالىٰ من خلال الهدايات القرآنية التي تضمنتها سورة الأنعام في تقرير الإيمان والعقيدة الإسلامية، وأثره في واقع الأمة الإسلامية من خلال الهدايات القرآنية المستخرجة من سورة الأنعام.

المقدمة

خلق الله الخلق، وأرسل الرَّسل، وأنزل الكتب من أجل غاية سامية، ألا وهي عبادته سبحانه، التي بها يسمو المخلوق، ويرتقي أعلىٰ المراتب في الدُّنيا والآخرة، وبقيامه بالعبادة تزكو نفسه، ولا تتحقَّق تلك العبادة إلَّا بتعظيم الله الخالق المعبود بحقٍّ.

فقد عرّف المناوي (٩٥٢هـ) العبادةَ: «أنها فعل المكلف علىٰ خلاف هوىٰ نفسه تعظيمًا لربه. وقيل: هي تعظيم الله وامتثال أوامره»[(١)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثمَّ الآية الرابعة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة] جعلها الله بينه وبين عبده؛ لأنّها تضمنت تذلُّل العبد لربِّه، وطلب الاستعانة منه؛ وذلك يتضمن تعظيم الله تعالىٰ[(٢)].

وقد أنزل الله القرآن الكريم وضمنه أعظم الهدايات للبشرية جمعاء، مشتملًا أصدق الأخبار وأعدل الأحكام، قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١١٥﴾[الأنعام]، وجاءت آيات القرآن تستعرض هدايات ترسيخ الإيمان، وبيان العقيدة الإسلامية بأساليب متعددة من أجل تعزيز واعز عظمة الله في قلوب عباده لتمتلئ إيمانًا، وليثمر ذلك الإيمان عملًا صالحًا.

مشكلة البحث:

تتمحور في كون كثير من أبناء أمتنا قد ضعف لديهم تعظيم الله في قلوبهم الذي يزيدهم إيمانًا ورغبة في العمل الصالح، فكثر الخلاف بين المسلمين بسبب الاختلافات العقدية بين طوائف الأمة، ولبعدهم عن الهدايات القرآنية التي جاءت تقرر العقيدة الإسلامية وأركان الإيمان.

قال ابن تيمية (٧٢٨هـ): «قولنا: لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب لكمال المحبة والتعظيم، والإجلال والإكرام، والرجاء والخوف»[(٣)].

فلا يقوم التوحيد ولا الإيمان في قلب العبد إلا بالمحبة والتعظيم للإله الذي يعبده.

لذلك يهدف هذا البحث إلىٰ:

١- بيان مفهوم تعظيم الله تعالىٰ والمصطلحات ذات الصلة بالتعظيم.

---

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (٢٣٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٤٦).

(٣) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (١/ ١٣٦).

٢- بيان تعظيم الله تعالىٰ من خلال الهدايات القرآنية التي تضمنتها سورة الأنعام.

٣- بيان مقاصد الهدايات القرآنية في سورة الأنعام في تعظيم الله تعالىٰ.

٤- بيان أثر تعظيم الله تعالىٰ علىٰ واقع الأمة الإسلامية.

المبحث الأول: مفهوم تعظيم الله تعالى وفضله

المطلب الأول: مفهوم تعظيم الله تعالى لغةً وشرعًا، والألفاظ ذات الصلة

التعظيم لغةً: معنىٰ التعظيم مأخوذ من عظم.

قال الأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٧٠هـ): «أَي: اجعلوه فِي أَنفسكُم ذَا عَظمَة وعَظَمة الله لَا تكيف وَلَا تُحَدّ وَلَا تمثَّل بِشَيْء. وَيجب علىٰ الْعباد أَن يعلمُوا أَنه عَظِيم كَمَا وصف نفسَه وَفَوق ذَلِك بِلَا كيفيَّة وَلَا تَحْدِيد»[(١)].

وقال الجوهري (٣٩٣هـ): «وأعظم الأمرَ وعَظَّمه، أي فخَّمه. والتَعْظيمُ: التبجيلُ»[(٢)].

وقال ابن منظور (٧١١هـ) في عَظُم: «مِنْ صِفاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ العلِيُّ العَظِيمُ، ويُسبِّح العبدُ رَبَّه فَيَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ؛ العَظِيمُ: الَّذِي جاوَزَ قدْرُهُ وجلَّ عَنْ حدودِ العُقول حَتَّىٰ لَا تُتَصَوَّر الإِحاطةُ بِكُنْهِه وحَقِيقتِهِ. وعَظمةُ اللهِ سُبْحَانَهُ لَا تُكَيَّفُ وَلَا تُحدُّ وَلَا تُمثَّل بِشَيْءٍ، ويجبُ عَلَىٰ العبادِ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ عظيمٌ كَمَا وصَفَ نفْسه وفَوْقَ ذَلِكَ بِلَا كَيفِيَّةٍ وَلَا تَحْديدٍ»[(٣)].

أمَّا شرعًا؛ فقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ (٣١٠هـ): «العظيم، ذو العظمة، الذي كل شيء دونه، فلا شيء أعظم منه»[(٤)].

وقال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ (٥١٦هـ): «**الْعَظِيمُ**: الْكَبِيرُ الَّذِي لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْهُ»[(٥)].

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ (٥٩٧هـ): «ومعنىٰ العظيم :ذو العظمة والجلال، والعظم في حقه تعالىٰ منصرف إلىٰ عظم الشأن، وجلالة القدر، دون العظم الذي هو من نعوت الأجسام»[(٦)].

ألفاظ ذات صلة بالتعظيم:

الحمد لغةً: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ (٧١١هـ): «الْحَمْدُ: نَقِيضُ الذَّمِّ؛ قَالَ ثَعْلَبٌ: الْحَمْدُ يَكُونُ عَنْ يَدٍ وَعَنْ غَيْرِ يَدٍ، وَالشُّكْرُ لَا يَكُونُ إِلا عَنْ يَدٍ؛ وقَالَ الأَزهري: الشُّكْرُ لَا يَكُونُ إِلا

---

(١) تهذيب اللغة (٢/ ١٨٢).
(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ٢٦٧).
(٣) لسان العرب (١٢/ ٤٠٩).
(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥/ ٤٠٥).
(٥) معالم التنزيل (١/ ٣١٣).
(٦) زاد المسير في علم التفسير (١٥٧).

ثَنَاءً لِيَدٍ أَوليتها، وَالْحَمْدُ قَدْ يَكُونُ شُكْرًا لِلصَّنِيعَةِ وَيَكُونُ ابْتِدَاءً لِلثَّنَاءِ عَلَىٰ الرَّجُلِ، وَفِي حَدِيثِ الدُّعَاءِ: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ)[١]، أَي وَبِحَمْدِكَ أَبتدئ، وَقِيلَ: وَبِحَمْدِكَ سَبَّحْتُ، وَقَدْ تُحْذَفُ الْوَاوُ وَتَكُونُ الْوَاوُ لِلتَّسَبُّبِ أَو لِلْمُلَابَسَةِ أَي التَّسْبِيحُ مُسَبَّبٌ بِالْحَمْدِ أَو مَلَابِسٌ لَهُ»[٢].

شرعًا: عرّف أهل العلم الحمد شرعًا بتعاريف متعددة، فبعضهم جعل الحمد والشكر شيئًا واحدًا، وبعضهم جعل الحمد هو الثناء علىٰ المحمود لما يتصف به من صفات الكمال وعلىٰ إنعامه، والشكر هو الثناء علىٰ إنعامه.

يتَّضح للباحث أن أحسن من بيَّن معنىٰ الحمد شرعًا هو ابن القيم (٧٥١هـ) حيث قال: «فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبِّه وإجلاله وتعظيمه»[٣]، ووافقه علىٰ هذا التعريف ابن عثيمين ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، يعني: الوصف بالكمال والجلال والعظمة لله تعالىٰ وحده»[٤].

سبحان لغةً: قال الأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٧٠هـ): «وَقَالَ اللَّيْث: سُبْحَانَ الله: تَنْزِيه لله عَن كل مَا لَا يَنْبَغِي لَهُ أَن يُوصف بِهِ. قَالَ: ونَصْبُه أَنه فِي مَوضِع فعل علىٰ معنىٰ تَسْبِيحًا لَهُ، تَقول: سَبَّحْتُ الله تسبيحًا أَي نَزّهْتُه تَنْزِيها. وَقَالَ الزّجاج فِي (سبحان): مَنْصُوبٌ علىٰ الْمصدر، أسبِّح الله تَسبيحًا. قَالَ: وسُبحَان فِي اللُّغَة: تنْزِيهٌ لله -عَزّ وجَلّ- عَن السُّوء. قلتُ: وَهَذَا قَول سِيبَوَيْهِ، يُقَال: سَبّحْتُ الله تسبيحًا وسُبْحَانًا بِمَعْنىٰ وَاحِد، فالمصدر تَسْبِيح، والاسم سُبْحَانَ يقوم مقَام الْمصدر»[٥].

وقال الجوهري رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٩٣هـ): «والتَسْبيح: التنزيه. وسُبْحانَ الله، معناه التنزيه لله، نُصب علىٰ المصدر، كأنَّه قال: أُبرِّئُ الله من السُّوءِ بَراءةً»[٦].

شرعًا: قال السَّمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٨٩هـ): «سُبْحَانَ: تَنْزِيه الله من كل سوء، وَحَقِيقَته تَعْظِيم الله بِوَصْف الْمُبَالغَة، وَوَصفه بِالْبَرَاءَةِ من كل نقص. وَكلمَة سُبْحَانَ؛ كلمة ممتنعة لَا يحوز أَن يُوصف بهَا غير الله؛ لِأَن الْمُبَالغَة فِي التَّعْظِيم لَا تلِيق لغير الله»[٧].

---

(١) أخرجه أبو داود (٧٧٦)، وقال الأرناؤوط (تحقيق سنن أبي داود): «حسن لغيره»، والترمذي (٢٤٢)، وصححه الألباني في (إرواء الغليل: ٣٤١).

(٢) لسان العرب (٣/ ١٥٥-١٥٦).

(٣) بدائع الفوائد (٥٣٦).

(٤) شرح الأصول الثلاثة (٤٦).

(٥) تهذيب اللغة (٤/ ٣٣٨).

(٦) الصحاح (١/ ٣٧٢).

(٧) تفسير السّمعاني (٣/ ٢١٢).

وقال **السّعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ (١٣٧٦هـ): «ينزه تعالىٰ نفسه المقدسة ويعظمها لأن له الأفعال العظيمة والمنن الجسيمة»(١).

التكبير: لغةً: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ (٧١١هـ): «الكَبير فِي صِفَةِ اللهِ تَعَالَىٰ: الْعَظِيمُ الْجَلِيلُ والمُتَكَبِّر الَّذِي تَكَبَّر عَنْ ظُلْمِ **عِبَادِهِ**، والكِبْرِياء عَظَمَة اللهِ، جاءتْ عَلَىٰ فِعْلِياء؛ قَالَ ابْنُ الأَثير: فِي أَسماء اللهِ تَعَالَىٰ الْمُتَكَبِّرُ وَالْكَبِيرُ أَي الْعَظِيمُ ذُو الْكِبْرِيَاءِ، وَقِيلَ: الْمُتَعَالِي عَنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ، وَقِيلَ: الْمُتَكَبِّرُ عَلَىٰ عُتاةِ خَلْقه، وَالتَّاءُ فِيهِ لِلتَّفَرُّدِ والتَّخَصُّصِ لَا تَاءُ التَّعاطِي والتَّكَلُّف. والكِبْرِياء: العَظَمة وَالْمُلْكُ، وَقِيلَ: هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ كَمَالِ الذَّاتِ وَكَمَالِ الْوُجُودِ وَلَا يُوصَفُ بِهَا إِلَّا اللهُ تَعَالَىٰ»(٢).

شرعًا: قال **الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ (٣١٠هـ): «﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]، يقول: وعظِّم ربَّك (يا محمَّد) بما أمرناك أن تعظِّمه به من قول وفعل، وأطعه فيما أمرك ونهاك»(٣).

وقال **السّعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ (١٣٧٦هـ): «﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾، أي: عظمه وأجله بالإخبار بأوصافه العظيمة، **وبالثناء** عليه، بأسمائه الحسنىٰ، وبتمجيده بأفعاله المقدسة، وبتعظيمه وإجلاله بعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له»(٤).

وقال **الشَّنقيطي (١٣٩٣هـ)**: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾، أَيْ: عَظِّمْهُ تَعْظِيمًا شَدِيدًا، وَيَظْهَرُ تَعْظِيمُ اللهِ فِي شِدَّةِ الْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ امْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ كُلِّ مَا يُرْضِيهِ»(٥).

التهليل لغةً: قال **الأزهري** (٣٧٠هـ): «وَقَالَ اللَّيْثُ: التهليل: قَول لَا إِلَه إِلاّ اللهُ»(٦).

معنىٰ الإله: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٩٥هـ): «الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبُّد. فالإله الله تعالىٰ، وسمّيَ بذلك لأنّه معبود. ويقال تألّه الرجُل، إذا تعبّد»(٧).

معنىٰ لا إله إلا الله: قال الطبري (٣١٠هـ): «﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ يقول: لا معبود يستحق عليك إخلاص العبادة له إلَّا الله»(٨).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٢٣).
(٢) لسان العرب (٥/ ١٢٥-١٢٦).
(٣) جامع البيان (١٥/ ١٣٨).
(٤) تيسير الكريم الرحمن (٦٤٥).
(٥) أضواء البيان (٣/ ٧٥٠).
(٦) تهذيب اللغة (٥٥/ ٢٤٠).
(٧) معجم مقاييس اللغة (١/ ١٢٧).
(٨) جامع البيان (٩/ ٤٧٩).

وقال في موضع آخر: «لا معبود يستحق الألوهة علىٰ الخلق إلا الله الذي له الخلق والأمر»[١].

وقال النحاس (٣٣٨هـ): «﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [الطور: ٤٣] أي معبود يستحق العبادة»[٢].

وقال محمّد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ): «ومعناها (أي: شهادة أن لا إله إلا الله): لا معبود بحقٍّ إلَّا الله وحده»[٣].

المطلب الثاني: فضل تعظيم الله تعالى

كما قدمنا أنَّ الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق هي عبادته سبحانه وتعالىٰ، وأن هذه العبادة لا تتحقق إلَّا بتعظيم الله[٤] بالجَنان والجوارح واللِّسان؛ لأنَّ العُبودية تذلُّلٌ وانكسارٌ وخضوعٌ للمعبود الذي تعظيمه يملأ قلبَ عابده، فالعبادة قوامها ولبُّها وأساس إخلاصها لله تعالىٰ، وألَّا يقوم مقام التَّعظيم الأكمل في القلب إلَّا الله تعالىٰ. لذلك كان أوَّل القرآن حمد الله ربّ العالمين، تعظيمًا له وثناءً عليه.

إنَّ الدَّعاء اسم شرعيٌ يطلق علىٰ نوعين:

النوع الأول: دعاء المسألة والطلب.

والنّوع الثاني: دعاء تعظيم لله وتمجيد وتنزيه، مثل دعوة يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وأفضل الدُّعاء يوم عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له[٥]، وقال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلَّهِ**»[٦].

فهذه الدّعوة (لا إله إلا الله) (الحمد لله) ليس فيها مسألة ولا طلب، إنَّما فيها تبجيل وتعظيم وثناء لله سبحانه وتعالىٰ[٧].

لذلك جاءت نصوص القرآن تترا تبين فضل تعظيم الله تعالىٰ، ومن فضائل تعظيم الله تعالىٰ:

---

(١) نفس المصدر، (١٢/ ٣٤٥).
(٢) إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٢).
(٣) شرح الأصول الثلاثة لصالح آل الشيخ (١١٧).
(٤) كما مر في تعريف المناوي للعبادة.
(٥) أخرجه مالك (٣٢)، والترمذي (٣٥٨٥)، وحسنه الألباني في (الصحيحة: ١٥٠٣).
(٦) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وحسَّنه الألبانيُّ في (صحيح الجامع: ١١٠٢).
(٧) انظر: شرح كتاب صفة صلاة النبي ﷺ (١٧٣).

- سبب في دخول الجنة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢﴾ [الرعد: ٢٢].

قال الطبري (٣١٠هـ): «﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾ أي: طلب تعظيم الله وتنزيهًا له أن يخالف في أمره أو يأتي أمرًا كره إتيانه فيعصيه به»[١].

وقال الرَّازي (٦٠٤هـ): «قَوْلُهُ: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أَيْ: عَاقِبَةُ الدَّارِ، وَهِيَ الْجَنَّةُ، لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي أَرَادَ اللهُ أَنْ تَكُونَ عَاقِبَةَ الدُّنْيَا وَمَرْجِعَ أَهْلِهَا»[٢].

- سببٌ للأمن في الدُّنيا، والآخرة من عذاب الله، حيثُ أرسل الله نوحًا لينذر قومه من عذاب الدُّنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١﴾ [نوح]، وممَّا قال نوح لقومه: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣﴾ [نوح].

قال أبو السعود (٩٨٢هـ): «أي: ما لكم لا تؤمِّلون له تعالىٰ توقيرًا، أي: تعظيمًا لمن عبده وأطاعه»[٣].

- سببٌ في توالي النِّعم وعدم حلول النِّقم، قال تعالىٰ بعد أن ذكر قصة أصحاب الجنة: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ٢٨﴾ [القلم]، قال الثَّعالبي: «قيل: هي عبارة عن تعظيم الله والعمل بطاعته سبحانه»[٤]، قال الباحث: أي لو كنتُم معظمين لله تعالىٰ ما حلَّت بكم تلك المصيبة.

- سببٌ في طمأنينة النفس وعدم الخوف، واليقين بأنَّ الأمر كلّه بيد الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣]، قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢٥٠هـ): «فَلَا تَخَافُوا النَّاسَ الْمَذْكُورِينَ فِي قَوْلِهِ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ نَهَاهُمْ سُبْحَانَهُ عَنْ أَنْ يَخَافُوهُمْ، فَيَجْبُنُوا عَنِ اللِّقَاءِ، وَيَفْشَلُوا عَنِ الْخُرُوجِ، وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَخَافُوهُ سُبْحَانَهُ فَقَالَ: وَخافُونِ فَافْعَلُوا مَا آمُرُكُمْ بِهِ، وَاتْرُكُوا مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ، لِأَنِّي الْحَقِيقُ بِالْخَوْفِ مِنِّي، وَالْمُرَاقَبَةِ لِأَمْرِي وَنَهْيِي، لِكَوْنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِيَدِي، وَقَيَّدَهُ بِقَوْلِهِ: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَقْتَضِي ذَلِكَ»[٥].

---

(١) جامع البيان (١٣/ ٥٠٩).

(٢) مفاتيح الغيب (١٩/ ٤٥).

(٣) إرشاد العقل السليم (٩/ ٣٨).

(٤) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٤٦٩).

(٥) فتح القدير (١/ ٤٠٠).

قال الباحث: فلأن قلوب الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم قد امتلأت بتعظيم الله تعالىٰ مما لم يترك في قلوبهم مجالا لتعظيم غيره، فاستجابوا لأمر الله وهم بجراحهم، وأحزانهم متوكلين حق التوكل علىٰ العظيم الذي لا يغلبه شيء.

المبحث الثاني: تعظيم الله تعالى من خلال الهدايات القرآنية التي تضمنتها سورة الأنعام

المطلب الأول: التعظيم بأسمائه وصفاته

إن تعظيم الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته من العبادات القلبية الجليلة، فهو من أنواع التوحيد العلمي الخبري الذي به يرتقي إيمان العبد مما ينعكس إيجابًا علىٰ التوحيد العملي فيعبد الله تعالىٰ ويُعظمه كأنه يراه.

لذلك خُتمت العديد من الآيات بأسماء الله تعالىٰ ليعظِّم العبد أمر الله أو نهيه في تلك الآيات بما تقتضيه تلك الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ من المعاني فيها إن كانت من آيات الأحكام، وإن كانت من الآيات الخبرية فهي ترسخ معاني التوحيد.

قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾[الأنعام].

قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ (١٣٩٤هـ): «وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ عُطِفَ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾. وَصِفَةُ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾الْحَكِيمُ تَجْمَعُ إِتْقَانَ الصُّنْعِ، فَتَدُلُّ عَلَىٰ عِظَمِ الْقُدْرَةِ مَعَ تَعَلُّقِ الْعِلْمِ بِالْمَصْنُوعَاتِ. وَصِفَةُ ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ تَجْمَعُ الْعِلْمَ بِالْمَعْلُومَاتِ ظَاهِرِهَا وَخَفِيِّهَا. فَكَانَتِ الصِّفَتَانِ كَالْفَذْلَكَةِ لِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ وَلِقَوْلِهِ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾»[1].

بعض هدايات هذه الآية التي تفيد تعظيم الله تعالىٰ:

- اتصافه بصفة الخلق يقتضي أنه سبحانه عالم وقادر ومالك وأنه متصف بالإرادة، وفيها رد علىٰ المعتزلة الذين أنكروا صفات الله لأن ذلك بزعمهم يستلزم تعدد الموصوفين.
- إن الكلام صفة من صفات الله تعالىٰ، وأنه سبحانه يتكلم حقيقة، وأن كلامه ليس معنًىٰ نفسيًا كما زعمت الأشاعرة، لأن قوله الحق، ومن كان يتكلم بالحق فلا يترك الكلام لمعانٍ نفسية، فهو لا يعجزه شيء.
- إثبات اسم عالم الغيب والشهادة الذي يستلزم أن كل شيء يقع في هذا الكون قد قدره الله تعالىٰ قبل أن يخلق السماوات والأرض، وهذا رد علىٰ القدرية الذين نفوا علم الله، وأيضًا

---

(١) تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد (٧/ ٣٠٣).

هي رد علىٰ الجبرية الذين قالوا إن الإنسان كالرِّيشة في مهب الريح، فعلم الله بالشَّهادة وهي الأعمال الحاضرة مما يستلزم أنهم محاسبين علىٰ ما يختارون ويقع منهم.

- اثبات اسمي الحكيم والخبير مما يستلزم أنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء لحكمته، وأنه مع خلقه معية بعلمه وإحاطته بهم، ومع أوليائه الصالحين بتأييده ونصره لهم.

المطلب الثاني: التفكر في مخلوقاته وآياته الكونية وآثاره

إن التعظيم تابع للمعرفة والعلم، فعلىٰ قدرِ المعرفة بالله تعالىٰ يكون تعظيمُ الله في القلب، وأعرف العباد بالله أشدُّهم له تعظيمًا وتبجيلًا، ومما يزيد معرفة العبد بربه هو النظر في آياتِ الله الكونية ومخلوقاته. حيثُ إنَّ إطلاق النظر استبصارًا، وإرسال العقل متدبرًا في الكائنات وفي خلق السماوات والأرض ممّا يملأ القلب إيمانًا بعظمة الله تعالىٰ، للك جاءت (الآيات: ٩٥-٩٩) من (سورة الأنعام) تُطلق العَنان للتَّدبر في آيات الله الكونية وفي مخلوقاته، وسيتناول الباحث هدايات آية واحدة من تلك الآيات، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

هذه الآية مع الآيات التي سبقتها من الدَّلائل علىٰ عظيم قدرة الله تعالىٰ، وكمال حكمته سبحانه وتعالىٰ، وقد دلَّت علىٰ هدايات، منها:

- الحثُّ علىٰ إنارة سبل العباد الدِّينية والدُّنيوية لمنعهم من الضَّلال في ظلمات الشرك واللّيل.
- العلم كالنُّجوم فهو يهدي السَّائرين إلىٰ الله كما تهدي النُّجوم التَّائهين في الظُّلمات.
- الدَّعوة إلىٰ التَّفكُّر في خلق الله وآياته الكونية للاهتداء بها في ظلمات الشِّرك، والتَّفكُّر في عظمة هذه المخلوقات، ومع عظمتها فهي مخلوقة مفتقرة إلىٰ خالقها، ومتغيرة لا تستقر علىٰ حال، مما ينفي عنها صفات الألوهية واستحقاق العبادة، فكيف بالإنسان المخلوق الصغير المحتاج لتلك المخلوقات العظيمة في شؤونه كالاهتداء بها في الظلمات، ثم يكون معبودًا تُصرف له العبادة؟ وكيف يكون له في القلب من التعظيم الذي لا يستحقه إلا الله سبحانه؟ ففي هذا التفكر والتأمل نقض للشرك.
- الاهتداء بهذه النُّجوم في ظلمات التَّعطيل والتَّشبيه، فخالق لمثل هذه المخلوقات العظيمة لا بدَّ أن يكون متَّصفًا بصفات الكمال من كونه فاعلًا وقادرًا وعالمًا وحكيمًا ومتَّصفًا بالصِّفات الفعلية التي يفعلها متىٰ شاء، فبهذا إبطالٌ لكلِّ تعطيل كلي أو جزئي، وإبطال التشبيه من كون هذه المخلوقات قبل خلقها كانت عدمًا، فهل يمكن أن نشبه خالقَها بالعدم أيضًا؟ وهذا محال في حقِّ الإله الخالق.

قال الطبريُّ (٣١٠هـ): «وعنىٰ بالظلمات، ظلمة الليل، وظلمة الخطأ والضلال»[١].

وقال الرَّازيُّ (٦٠٤هـ): مِنَ الدَّلَائِلِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ كَمَالِ الْقُدْرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ وَهِيَ مِنْ وُجُوهٍ: الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ تَعَالَىٰ خَلَقَهَا لِتَهْتَدِيَ الْخَلْقُ بِهَا إِلَىٰ الطُّرُقِ وَالْمَسَالِكِ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ. الْوَجْهُ الرَّابِعُ: كَوْنَهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ. الْوَجْهُ الْخَامِسُ: يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ أَيْ فِي ظُلُمَاتِ التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ. فَهُوَ تَعَالَىٰ خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِيُهْتَدَىٰ بِهَا فِي هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ مِنَ الظُّلُمَاتِ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ عُدُولًا عَنْ حَقِيقَةِ اللَّفْظِ إِلَىٰ مَجَازِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَرِيبٌ مُنَاسِبٌ لِعَظَمَةِ كِتَابِ الله تَعَالَىٰ. الْمُرَادُ أَنَّ هَذِهِ النُّجُومَ كَمَا يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَىٰ الطُّرُقَاتِ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَكَذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَىٰ مَعْرِفَةِ الصَّانِعِ الْحَكِيمِ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ[٢].

المطلب الثالث: الوعد بالبعث والحساب ولقاء الله تعالى

جاءت آيات القرآن العديدة تؤكد وجود البعث، وأنَّ الناس سيحاسبون علىٰ أعمالهم في هذه الدُّنيا، وعرضت هذه الآيات مواقف يوم القيامة بصور متعدِّدة، منها: تعظيم الله الذي سيقف الناس بين يديه فيحاسبهم، ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة]. فإنَّ الله مالك الدُّنيا والآخرة، ولكن خصّ يوم الحساب والجزاء لتجرد جميع خلقه في ذلك اليوم ممّا كانوا يدّعون ملكيته في الدنيا، قال الطبري (٣١٠هـ): «أنّ لله المُلْك يوم الدِّين خالصًا دون جميع خلقه، الذين كانوا قبل ذلك في الدُّنيا ملوكًا جبابرة ينازعونه الملك، ويدافعونه الانفرادَ بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية. فأيقنوا بلقاء الله يوم الدِّين أنّهم الصَّغَرة الأذِلّة، وأنَّ له -من دُونهم، ودون غيرهم -المُلك والكبرياء، والعِزَّة والبهاء»[٣].

وقد جاءت آيات في (سورة الأنعام) تقرِّر أنَّ تعظيم الله هو أحد أسباب النَّجاة يوم العرض علىٰ الملك الجبَّار، وهو سببٌ في تقرير الإيمان بالبعث في قلوب العباد، لأنَّ المنكرين للبعث استعظموا أن يعيد الله خلقهم بعد موتهم، وما ذلك إلَّا لسوء ظنهم بعظمة ربهم وما له من الجلال والجبروت والقدرة.

---

(١) جامع البيان (٩/ ٤٣٢).

(٢) تفسير الرازي (١٣/ ١٠٥-١٠٧).

(٣) جامع البيان (١/ ١٥٠).

قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾.

من هدايات هاتين الآيتين:

- أنَّ العباد فاعلون لأعمالهم حقيقة، وكاسبون لها، لا الكسب الذي زعمته الأشاعرة، واختلفوا فيه.
- تعظيم الله بأنَّه محيطٌ بكلِّ ما يفعله العبد، فلا يخرج من أفعالنا شيءٌ عن إحاطته وعلمه وسلطانه.
- تقرير تعظيم الله في القلب يرسِّخ الإيمان بالبعث وبالجزاء، وبلقاء الله تعالىٰ.

قال السَّعدي (١٣٧٦هـ): «هذا كله، تقرير لألوهيته، واحتجاج علىٰ المشركين به، وبيان أنه تعالىٰ المستحق للحب والتعظيم، والإجلال والإكرام، فأخبر أنه وحده، المتفرد بتدبير عباده، في يقظتهم ومنامهم، وأنه يتوفاهم بالليل، وفاة النوم، فتهدأ حركاتهم، وتستريح أبدانهم، ويبعثهم في اليقظة من نومهم، ليتصرفوا في مصالحهم الدينية والدنيوية وهو -تعالىٰ- يعلم ما جرحوا وما كسبوا من تلك الأعمال. ثم لا يزال تعالىٰ هكذا، يتصرف فيهم، حتىٰ يستوفوا آجالهم. فيقضىٰ بهذا التدبير، أجل مسمًّىٰ، وهو: أجل الحياة، وأجل آخر فيما بعد ذلك، وهو البعث بعد الموت»[(١)].

قال ابن كثير (٧٧٤هـ): «وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ أَيْ: هُوَ الَّذِي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَضَعَ لِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ كُلُّ شَيْءٍ»[(٢)].

المطلب الرابع: امتثال شرع الله تعالى

العبادة تقع من العبد لمعبوده مع المحبة والتعظيم له، حيث يتذلل الإنسان لمن قام حبه في قلبه وملأه، وخشعت له جوارحه تعظيمًا وتمجيدًا له، يُعظم أمره بالامتثال، ونهيه بالاجتناب.

قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٣٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٦٧).

من هدايات هذه الآية:

- تعظيم الله تعالىٰ في التشريع، فلا نُحلّ إلا ما أحله، ولا نُحرم إلا ما حرمه.
- تعظيم الله تعالىٰ بامتثال سنة رسوله ﷺ لأنها وحي ممن امتلأ قلبك بتعظيمه ومحبته.

المبحث الثالث: مقاصد الهدايات القرآنية في سورة الأنعام في تعظيم الله تعالى

يُعرّف المقصد لغةً من قصد: عرفه الأزهري (٣٧٠هـ): «القصد: استقامة الطريق. والقصيد من الشعر سُمي قصيدًا لأن قائله احتفل له فنقَّحه بالكلام الجيد والمعنىٰ المختار. وقال آخرون: سُمّي الشعر التام قصيدًا لأن قائله جعله من باله فقصد له قصدًا وروّىٰ فيه ذهنه ولم يقتضبه اقتضابًا، وهو الأم»[(١)].

أمَّا التعريف الاصطلاحي لمقاصد السُّور؛ فلم يرد فيه تعريفٌ عن السَّلف، ولم يذكروه كفنٍ أو مصطلح مستقلّ، وإنَّما كان ممارسةً يعرفونه ويذكرونه.

أمَّا الكلام عنه كمصطلح ظهر في كلام المتأخرين، حيث يُعدّ البقاعي (٨٨٥هـ) أوَّل من صنَّف في مقاصد كلّ سورة في كتابه (مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور)، وعرّفه: «هو علمٌ يُعرف منه مقاصدُ السُّور. وموضوعه: آيات السُّور، كلّ سورة علىٰ حيالها»[(٢)].

المطلب الأول: إظهار كمال الخالق

بدأت السُّورة بحمد الله لنفسه ممّا يستلزم منا حمده سبحانه وتعالىٰ، وهذا يفيد تقرير تفرد الله سبحانه وتعالىٰ بالرُّبوبية والألوهية والأسماء والصفات، له الكمال التَّامّ من كلّ وجه، فهو وحده المستحقّ للمحامد كلها.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾.

من هدايات هذه الآية:

- أنه سبحانه بيّن طريق الحق وجعل عليه نورًا لا يزيغ عنه إلا هالك، وبيّن طرق الضلالة والغواية وجعلها ظلمات لا برهان فيها ولكن الشياطين زينتها لسالكيها.
- إن الغاية من خلق السماوات والأرض ومن خلقنا هي تعظيم الله بالحمد.
- إن تعظيم الله بذكره هو سبب نور القلوب وحياتها.

---

(١) تهذيب اللغة (٨/ ٢٧٤).

(٢) مصاعد النظر (١/ ١٥٥).

المطلب الثاني: تحقيق العبودية لله تعالى

سورة الأنعام من أوّلها إلىٰ آخرها جاءت تقرِّر التوحيد الذي هو أعظم ما أمر الله به، وتنهىٰ عن الشِّرك الذي هو أعظم ذنب نُهي عنه، وتدحض كلَّ الشُّبهات التي قامت حول توحيد الله تعالىٰ، حيث جاءت آياتها الأخيرة توضِّح جليًّا حقيقةَ التوحيد الذي يدعو إليه محمّد ﷺ وهو ما دعا إليه إبراهيم ﷺ.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾.

من هدايات هاتين الآيتين:

- إن الإخلاص هو أس العبادة التي خلق الله الخلق من أجلها، والإخلاص أحد شرطي قبول العمل عند الله، ويزداد العبد إخلاصًا لله كلما كانت عظمة الله في قلبه أكبر.
- تعظيم الله في أن أمر الحياة والممات بيد الله سبحانه، لذلك علىٰ العبد أن تكون عباداته القولية والبدنية والمالية والقلبية للعظيم الذي بيده ملكوت السماوات والأرض.

المطلب الثالث: إثبات رسالة الأنبياء والرسل، وأن دعوتهم واحدة

إن جميع الرسل والأنبياء ينتسبون للدين القيم، الذي ارتضاه الله وشرعه لعباده، وأمر خلقه جميعًا بطاعة رسله في اتباع ما أرسلهم به، ولا يُقبل دينٌ سواه عند الله.

قال رسول الله ﷺ: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»(١).

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾، بعد أن ذكر الله عددًا من الرَّسل والأنبياء في (سورة الأنعام: الآيات ٨٣-٨٧) بيَّن -سبحانه- أنّهم رسلٌ وأنبياءُ من عند الله، وأنّهم جميعًا يدعون لتوحيد الله تعالىٰ.

ومن هدايات هذه الآية:

- تعظيم الله تعالىٰ بالخوف من الشِّرك الذي يُحبط الأعمال، ويوقع علىٰ العبد عقاب من الجبار العظيم.
- تعظيم شريعة الله التي أنزلها علىٰ رسله، لأنّها الهدىٰ، وما سواها ضلال.
- الأعمال الصالحة بظاهرها لا تقبل عند الله إلَّا بالتوحيد.

---

(١) أخرجه أحمد (٩٢٧٠).

المطلب الرابع: الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر هو أحد آثار تعظيم الله تعالىٰ، حيث إن كثيرًا ممن كذب باليوم الآخر كانوا يؤمنون بالله، ومنهم كفار قريش، مع أن إيمانهم كان يشوبه الشرك، ولكن كانوا ينكرون أن يبعثوا، وأن يحاسبوا علىٰ أعمالهم، لأنّهم ما عظَّموا الله حق التعظيم، وما قدروا الله حق قدره، وأنه لا يتعاظمه إحياؤهم بعد موتهم، قال تعالىٰ ذاكرًا ما قاله المشركون: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩﴾، فكان هذا قولهم في الحياة الدُّنيا، ثم أخبر عن موقفهم يوم القيامة يوم يعرضون علىٰ ربهم: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٠ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١﴾، قد أخبرت هذه الآيات عن خسران كل من كذّب بقدرة الله علىٰ البعث وأنه سبحانه العظيم القادر علىٰ كل شيء.

من هدايات هذه الآية:

- الجزاء من جنس العمل، وذلك بما اقتضىٰ إضافة الرب إليهم لبيان فضله وإحسانه إليهم مع كفرهم، وحلمه عليهم، وكان حقه عليهم أن يشكروا إحسانه وفضله، فحُرموا فضله يوم القيامة، وحاسبهم بعدله سبحانه.
- إن الله له من صفات العظمة والكبرياء التي توجب عليهم أن يعظموه، ويعظموا إخباره بالتصديق بيوم البعث، وذلك من خلال حرف الاستعلاء (علىٰ).

المطلب الخامس: الهداية الربانية

أفضل النِّعم التي يمتن الله بها علىٰ عباده أن هداهم لدين الحقّ، وأرشدهم لما يوصل إلىٰ مرضاته وجناته، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾.

قال الواحدي رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٦٨هـ): «فإنَّها قد صرَّحت بتعلق إرادة الله بالهداية والإضلال، وتهيئة أسبابهما»[1].

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢/ ٣٢١).

تُبيِّن الآيةُ أنَّ الأمرَ هو أمرُ الله تعالىٰ، وأنَّ القلوبَ بيده، فإنَّه -سبحانه- يوفق من يشاء إلىٰ سبيل الحق والهدىٰ، ويوسع قلبه لقبول الإسلام، ومن أراد الله إضلاله صرفه عن سبيل الحق والهدىٰ، وجعل صدره ضيقًا لأنه امتلأ بالكفر فلا يسع أن يدخل غيره.

من هدايات الآية:

- الإيمان بالله وبدينه لا يحتاج من النفس جهدًا لتقبّله، بل قلوب بني آدم فُطرت عليه، لذلك كانت نفوس المؤمنين أشرح النفوس.
- الكفر والشرك يتكلفه الإنسان، ويجهد نفسه به، لذلك تجد الكافرين والمشركين أكثر الناس عرضة للأمراض النفسية.
- من عظم الله بقلبه لم يجد الشيطان إليه سبيلًا، ومن لم يعظم الله كان الشيطان له وليًّا لقوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

المبحث الرابع: أثر تعظيم الله تعالى على واقع الأمة الإسلامية

إن تعظيم الله تعالىٰ من أجلّ العبادات القلبية التي لها أثر علىٰ العبادات القلبية الأخرىٰ كالتوكل وغيره، وتظهر آثارها جلية أيضًا علىٰ جوارح العبد، مما ينعكس إيجابًا علىٰ عباداته العملية والقولية وأخلاقه، وعلىٰ قدر ذلك التعظيم يكون إحسان تلك العبادات وإتمامها وإتقانها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (٧٥١هـ): «هذه المنزلة (منزلة التعظيم) تابعة للمعرفة، فعلىٰ قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالىٰ في القلب، وأعرف الناس به، أشدهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذم الله تعالىٰ من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفه حقّ معرفته، ولا وصفه حق صفته، قال تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح]، قال ابن عباس ومجاهد: «لا ترجون لله عظمة». وقال سعيد بن جبير: «ما لكم لا تعظِّمون الله حق عظمته، وروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا خلىٰ أحدهما عن الآخر فسدت العبودية»[1].

المطلب الأول: أثر تعظيم الله تعالى على العبد

أثر تعظيم الله تعالىٰ علىٰ العبد جليل وكثير في حياته، وسبب لصلاحه، ومسارعته لكلِّ ما يحبُّه الله تعالىٰ ويرضاه من الأقوال والأفعال الظَّاهرة والباطنة.

ومن هذه الآثار:

- تحقيق توحيد الله تعالىٰ، الذي من خلاله يشهد العبد بانفراد الله تعالىٰ بالخلق والأمر، وأن الخلق جميعهم تحت قهر الله تعالىٰ، وأمرهم بيديه سبحانه، مما يجعل قلب العبد ليس فيه سوىٰ محبة الله وخشيته، لذلك يتحقق لديه أنه لا يستحق أن يُعبد إلا الله تعالىٰ، ولا يوجد من يستحق أن يُصرف له شيء من حق الله تعالىٰ، ولا يمكن أن يماثله أحد بصفاته العلىٰ وأسمائه الحسنىٰ.
- امتلاء القلب بمحبة الله تعالىٰ، وخشيته ومخافته سبحانه، مع الرجاء وحسن الظن بالله تعالىٰ وإحسان العمل، والثقة والاعتماد والتوكل علىٰ الله تعالىٰ، وطمأنينة النفس وثباتها، وتبرؤها من الحول والقوة مفتقرة متذللة إلىٰ سيدها ومولاها وبارئها.
- تعظيم شرع الله تعالىٰ بالتحاكم إليه في كل الأمور، وذلك لمعرفة عظم من شرع تلك الأحكام. وتعظيم شعائر الله وحرماته.

---

(١) مدارج السالكين (٤/ ٢٧٢-٢٧٣).

- تعظيم سنة النبي صلىٰ الله عليه وسلم واتباعها تعظيمًا لأمر الله تعالىٰ، ونبذ البدع وبغضها لأنها بريد الكفر.
- مسارعة الفرد إلىٰ الأعمال الصالحة، والإكثار مما يقرب إليه سبحانه.
- اجتناب المعاصي والذنوب تعظيمًا لأسماء الله تعالىٰ، فهو سبحانه الرقيب العليم شديد العقاب.

المطلب الثاني: أثر تعظيم الله تعالى على الأسرة

قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**مَا مِن مَولودٍ إلا يُولَد علىٰ الفطرة، فأبوَاهُ يُهَوِّدانِهِ، وَيُنَصِّرانِهِ، وَيُمَجِّسانِهِ، كَمَا تُنتَجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاءَ، هل تُحِسُّونَ فيها من جدعاءَ؟**»، ثمَّ يقول أَبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾ [الروم][(١)].

هذا الحديث هو أصل عظيم في أن للأسرة دورًا كبيرًا في دين المرء وما ينشأ عليه، وما يلحق ذلك من إيجابيات عقدية وسلوكية أو انحرافات فكرية وعملية عند بلوغ المرء، لذلك أولىٰ الإسلام جانب التربية الأسرية اهتمامًا شديدًا في كثير من الآيات والأحاديث.

اهتم الإسلام بالأسرة كبُنية أساسية لمجتمع تسوده الفضائل الإسلامية، فالأسرة هي البناء الأولي الأول الذي تُبنىٰ منه المجتمعات، وهي أول مؤسسة يتعامل معها الأبناء من مؤسسات المجتمع، فتُبنىٰ خلالها بيئته الثقافية الابتدائية التي يكتسب منها الابن لغته ومعارفه.

وهي بلا شك المؤثر الأول في تكوين الأبناء نفسيًا، وجسديًا، واجتماعيًا، وعن طريقها تُصاغ المنظومة القيمية والعقائدية الأولية في ذهنيتهم[(٢)].

ومن آثار تعظيم الله علىٰ الأسرة:

- أداء المسؤولية من قبل الوالدين اتجاه أبنائهم من خلال رحمتهم ورعايتهم وتنشئتهم التنشئة الصالحة، وتعظيم حق الوالدين من قبل الأبناء ببرهم وطاعتهم والإحسان إليهما.
- بناء بيت قائم علىٰ تعظيم الله، ومراقبته في السر والعلن، وطاعته وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.
- تعظيم صلة الأرحام، والإحسان إليهم، ونشر المودة والألفة بين الأقارب.

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري (١٣٨٥، ١٣٥٩، ١٣٨٥)، وأخرجه مسلم (٢٦٥٨).

(٢) التربية في الإسلام، خالد روشه، مقال علىٰ موقع المسلم.

- تعظيم حقوق الجيران، وعدم الإساءة إليهم، والصبر علىٰ أذاهم، وتعاهدهم بالإحسان.
- تعظيم اتقان العمل، والأمانة، وحب ما تحبه النفس للآخرين.

المطلب الثالث: أثر تعظيم الله تعالى على المجتمع

اعتنىٰ الإسلام بتأسيس مجتمع يُظهر توحيد الله سبحانه وتعالىٰ في عباداته، ويخضع له حكمًا، فلا شرع إلا ما شرعه الله تعالىٰ ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ومن آثار تعظيم الله تعالىٰ علىٰ المجتمع:

- تعظيم التوحيد، ومحاربة الشرك بكل صوره.
- تعظيم شعائر الله وحرماته.
- تعظيم السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، والصبر علىٰ جورهم وظلمهم، قال رسول الله ﷺ: «من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله»[1].
- تعظيم أمر جماعة المسلمين الواحدة، والتمسك بطريقتهم علمًا وعملًا، وعدم الخروج عليها بالقول أو بالسلاح.
- تكافل المجتمع كجسد واحد، وسيادة روح التعاون بين أفراده.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٢٤).

الخاتمة

إن قفر القلوب من تعظيم الله سبب لتضييع الانقياد لشريعة رب العباد، وطريق إلىٰ ضياعها طرق الشرك والإلحاد والبدع والمعاصي، لذلك يخلص الباحث إلىٰ **أهم النتائج**:

- ضعف الأمة الإسلامية اليوم لتضييع حق الله تعالىٰ في التوحيد والتعظيم.
- تحطم الكثير من الروابط الأسرية بين أفراد الأسرة الواحدة لضعف تعظيم الله في حقوق أولي الأرحام.
- تضييع الأفراد لكثير من الواجبات الشرعية، لأنهم ما قدروا الله حق قدره وتعظيمه.

المراجع والمصادر

القرآن الكريم

١- **إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم**، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

٢- **إرواء الغليل في تخرج أحاديث منار السبيل**، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ، ١٩٧٩م.

٣- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، جدة، مجمع الفقه الإسلامي–دار عالم الفوائد، (د.ت).

٤- **إعراب القرآن للنحاس**، جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

٥- **بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، جدة، مجمع الفقه الإسلامي–دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (د.ت).

٦- **تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، محمد الطاهر بن محمد ابن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٧- **التربية في الإسلام**، خالد روشه، مقال علىٰ موقع المسلم، www.almoslim.net، ١٤٣١/٨/٥هـ.

٨- **تفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر الرازي، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨١م.

٩- **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الرياض، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

١٠-**تفسير القرآن المشهور بـ «تفسير السمعاني»**، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم أبو تيميم -غنيم بن عباس أبو بلال، الرياض، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٧م.

١١-**تهذيب اللغة**، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولىٰ، ٢٠٠١م، (٥٥/ ٢٤٠).

١٢-**التوقيف علىٰ مهمات التعاريف**، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٠م.
١٣-**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الكويت، دار إحياء التراث الإسلامي، (٢٠٠٣).
١٤-**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م.
١٥-**الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: علي معوض -عادل عبد الموجود، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٧م.
١٦-**زاد المسير في علم التفسير**، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، بيروت، المكتب الإسلامي ودار ابن حزم، الطبعة الأولىٰ الجديدة، ٢٠٠٢م.
١٧-**سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٩م.
١٨-**سنن الترمذي**، أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر -محمد فؤاد عبد الباقي -إبراهيم عطوة عوض، القاهرة، مصطفىٰ البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.
١٩-**السنن**، محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٩م.
٢٠-**شرح الأصول الثلاثة**، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولىٰ، ٢٠١٥م.
٢١-**شرح الأصول الثلاثة**، محمد بن صالح العثيمين، إعداد: فهد بن ناصر سليمان، الإسكندرية، دار الإيمان، ٢٠٠١م.
٢٢-**شرح كتاب صفة صلاة النبي** صلىٰ الله عليه وسلم **من التكبير إلىٰ التسليم كأنك تراها**، محمد بن عمر بازمول، الرياض، مكتبة المعارف، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٩م.
٢٣-**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، إسماعيل بن حمَّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).

٢٤-**صحيح البخاري**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دمشق -بيروت، دار ابن كثير الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٥-**صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

٢٦-**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي الشوكاني، المملكة العربية السعودية، وزارة الأوقاف السعودية، ٢٠١٠م.

٢٧-**لسان العرب**، محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي، بيروت، دار صادر، (د.ت).

٢٨-**مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية -مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٤م.

٢٩-**مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد بن أبي بكر الزرعي ابن قيم الجوزية، تحقيق: ناصر بن سليمان السعوي -علي بن عبد الرحمن القرعاوي -صالح بن عبد العزيز التويجري -خالد بن عبد العزيز الغنيم -محمد بن عبد الله الخضيري، الرياض، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ، ٢٠١١م.

٣٠-**مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٧م.

٣١-**المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ المشهور بـ «صحيح مسلم»**، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، الرياض، دار طيبة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣٢-**مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور**، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، الرياض، مكتبة المعارف، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨ه-١٩٨٧م.

٣٣-**معالم التنزيل المشهور بـ (تفسير البغوي)**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر -عثمان جمعة ضميرية -سليمان مسلم الحرش، الرياض، دار طيبة، (د. ط)، ١٩٨٩م.

٣٤-**معجم مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٩٧٩م.
٣٥-**موطأ الإمام مالك**، مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفىٰ الأعظمي، أبو ظبي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ٢٠٠٤م.
٣٦-**الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، علي بن أحمد النيسابوري الواحدي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٥م.